أكان السموأل نصرانيا

Samaw'al était-il chrétien?

١ — تمهيد

كان المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ينصر كل مفوز بدينه . فنصر طائفة من شعراء الجاهلية وعصابة من المخضرمين . وفريقا من الاسلاميين انفسهم بل تجرأ فنصر من كان مسلما صريح الاسلام كيعاسوب العرب يعقوب بن اسحاق الكندي (راجع لغة العرب ٥ : ٣٠٢) ويهوديا بين اليهودية كالسموأل وقد سند مدعاه الى بيت موضوع نظمه نظما قبيحا احد المواصلة ودسه في مخطوط ونسبه الى السموأل وهذا هو

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

فكل كلمة من هذا التركيب المشوه القبيح يشهد ان صاحبه معاصر لنا وليس له ادنى صلة بالسموأل ذاك الشاعر المبدع صاحب المعاني الرائقة والتراكيب المنيعة التي تشهد متانته بحصنه الابلق الفرد .

فكتب الاب شيخو في المشرق ٩ : ٦٧٥ « ان كان البيت الاخير [الذي تقلناه هنا] صحيحا ، صدق (كذا) ظننا السابق بان السموأل نصراني لا يهودي لاسيما ان اصله من بني غسان وبنو غسان نصارى » .

فكتبنا اليه لا يجوز لك ان تمسخ التاريخ هذا المسخ وان هذا البيت الاخير لا وجود له وان صاحب النسخة الموصلية وضعها من عنده وان السموأل يهودي وان بني غسان لم يكونوا كلهم نصارى بل كان بينهم يهود ووثنيون ايضا . إلا ان حضرة الاب لم ينشر ردنا وابقاه عنده وانتفع ببعض الفوائد التي كانت فيه واورجها باسمه فكان ذلك سببا كافيا لامتناعنا من كل مساعدة في مجلته .

٢ — نفوس المؤرخين لتشهد على يهودية السموأل

ما من مؤرخ عربي او غربي ذكر السموأل إلا نص على انه يهودي ولم يشر ابدا — ولو من طرف خفي — الى انه كان نصرانيا او يهوديا متنصرا او من اليهود النصارى (وهم يهود كانوا بين النصرانية واليهودية ويعرفون عند الافرنج

باسم Judéo - Chrétiens) فقد قال اليعقوبي في تاريخه (١ : ٣١٠ من طبعة الافرنج) معدوا شعراء العرب ... والسموأل بن عاديا وهو ينسب الى غسان فيقول بعضهم انه يهودي من سبط يهوذا » اه

وقال في الاغاني (٣ : ١١٥ من الطبعة المصرية الجديدة) : الشعر لفريق اليهودي وهو السموأل بن عادياء ... »

وفي تاج العروس في مادة سمأل : والسموأل بن عادياء اليهودي وفي المقدمة الفاضلية : السموأل بن اوفى بن عادياء بن جفنة صاحب الحصن الابلق

وقال في لسان العرب في مادة خبث : « قال اليهودي الخيبري :

ينفع الطيب القليل من الرز ق ولا ينفع الكثير الخبيث

... وقال ابو منصور : في بيت اليهودي ايضا : اظن ان هذا تصحيف اه وانت تعلم ان البيت المذكور هو للسموأل كما يرى في ديوانه وكما نص عليه جميع الشعراء الاقدمين وكذلك قال صاحب التكملة .

وفي التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٥٨ من طبعة الافرنج : « وكان اهل تيماء اعداء لرسول الله صلعم ورؤساؤهم آل السموأل بن عادياء بن حيا ابن وقاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو بن عياء بن عامر اه . قلنا : والناس جميعهم يعلمون ان اغلب اهل تيماء كانوا يهودا ولهذا كانوا يعادون النبي الحنيف .

وقال صاحب الاوقيانوس : والسموءل بن عادياء بن رجل در يعني حصن ابلق صاحبي يهودي ايديكم وفاء عهد بابندة ضرب مثل در . ومن امثالهم : اوفى من السموأل . اه عبارته التركية بحرفها .

وفي مجمع الامثال للميداني ٢ : ٢٧٦ من طبعة بولاق الاولى في شرح هذا المثل : اوفى من السموأل ماهذا حرفه : هو السموأل بن حيان بن عادياء اليهودي الى آخر ما قال .

وقال المطهر بن طاهر المقدسي في كتابه البدء والتاريخ ٣ : ٢٠٣ من طبعة الافرنج : وكان امرؤ القيس عند خروجه الى قيصر اودع السموأل بن عادياء اليهودي شكة مائة رجل ... » اه .

وقال ابن خلكان في ترجمته لابي السمط (٢ : ١٣١ من طبعة بولاق) ... انما كان من موالي السموأل بن عادياء اليهودي المشهور بالوفاء ... ولو اردنا ان نذكر جميع الشواهد لما كفانا جزء من هذه المجلة وختم هذه الشهادات بشهادة رجل لا يتهم بحزب من الاحزاب وهو من اجل المحققين اي أ . ب . كوسين دي برسفال في كتابه الممتع في اخبار العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وهو كتاب جليل في ثلاثة اجزاء وهذا تعريب ما قاله في (٢ : ٢٣٧) واخباريو العرب لا ينبسون ببنت شفة بصدد هذه الانباء المتقدم ذكرها بل لا يشيرون بشيء الى السنوات الاولى من ملك الحرث الاعرج اللهم إلا ذكر عمل اظهر فيه قوته نحو السموأل اليهودي صاحب القصر في تيماء الخ ...

فهذه الشهادات كلها تتضافر في اثبات ان السموأل كان يهوديا ولم يخطر في بال احد انه كان على دين آخر ومع كل هذا تنكر الاب شيخو كل هذه الروايات ويحاول ان يقنع الناس بان ابن عادياء كان نصرانيا او يهوديا متنصرا او يهوديا في الباطن ونصرانيا في الظاهر الى ما شابه هذه الاراء الضعيفة التي ليس فيها من الحق شيء حتى الخيال .

وبهذه الصورة افسد الاب شيخو تاريخ العرب واخبارهم بينما كنا نكتب اليه الرسالة بعد الرسالة ان مثل هذا العمل لا يوليه شرفا ولا يفيد الاحداث ولا التاريخ لان الحقائق تبدو كالشمس واذا بدت تصرمت ظلمات الملفقات على انواعها وان كانت ثخينة الاديم وعكمة المرا .

٣ — لم تكن غسان كلها نصارى

يدعي الاب المرحوم لويس شيخو ان السموأل كان نصرانيا لاسباب منها :

١ — ان السموأل كان ينسب الى غسان وغسان كانت نصرانية .

٢ — ان السموأل ذكر في بعض ابياته السيد المسيح والحواريين .

٣ — ان السموأل كان من بني الديان (وفي بعض الروايات بني الريان بالراء وهو خطأ ظاهر) وبنو الديان كانوا نصارى (١) .

---

١) راجع مقدمة ديوان السموأل الذي طبعه الاب شيخو على نسختنا الخطية التي من بعد ان سرقت سنة ١٩١٧ وجدناها عند احد الادباء واضطررنا الى اشترائها منه مع وجود جميع الادلة على انها كانت لنا .

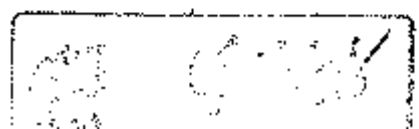

فنقول : اولا ـ ان البيت الذي فيه ذكر بني الديان جاء في ديوان الحماسة لابي تمام في آخر اللامية المشهورة للسموأل إلا ان التبريزي في شرحه البيت المذكور يقول انه لعبد الله الحارثي لاللسموأل . واو فرضنا جدلا انه لابن عاديا فهذا لا يدل على انه كان نصرانيا بل يهوديا . لان هذا الاسم مأخوذ من اللغة العبرية ويدل على القاضي عند اليهود وكان هناك عدة بيوت تنتسب الى بني الديان لتوليهم القضاء في ذلك العهد . اما ان بعض بني الديان تنصروا او ان هناك نصارى كانوا تولوا القضاء للنصارى على مثال ما كان اليهود يفعلون فليس ببعيد .

٢ـ ان ذكر المسيح والحواريين لايدل على نصرانية من يصرح بهم . فان القرآن يصرح بهم وبكثير من انبياء اليهود أفيقال ان المصحف هو للنصارى او لليهود ؟ وان كثيرين من شعراء المسلمين ذكروا أئمة النصارى واساقفتهم واسرارهم وكل ما يتعلق بهم . وام يخطر على بالهم ان يكونوا من اتباع عيسى بن مريم أفيقال انهم اظهروا الاسلام وابطنوا النصرانية لغاية في صدورهم لم يبوحوا بها ؟ كل هذه خرافات وترهات يتسلى بها او يلهج بها من هو على شاكلة الاب المرحوم الذي رأى الشيب بعيدا عنه فقال : يا ما احضره !

٣ـ لم يكن جميع غسان على النصرانية بل الذين هجروا ديارهم ونزلوا ربوع الشام . ودليلنا على ذلك ما قاله ياقوت في معجمه فقد ذكر في مادة مناة ما هذا اعادة نصه : « هذا اسم صنم في جهة البحر مما يلي قديدا بالمشلل على سبعة اميال من المدينة . وكانت الازد وغسان يهلون له ويحجون اليه وكان اول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي ... » اه وقال اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٧) : « وكانت تلبية غسان [عند وقوفها امام صنمها] . لبيك رب غسان راجلها والفرسان . اه . وقال في ص ٢٩٨ من الجزء المذكور : تهود قوم من غسان . وقال في ص ٢٩٩ : وتنصر ... غسان » . وهذه الشواهد تدل على ان الوثنية واليهودية والنصرانية كانت في غسان والقول انها كانت نصرانية لاغير من الخطأ والخطل ومن باب افساد اخبار العرب وتاريخهم .

وهناك غير هذه الشواهد من ذلك ان سطيح بن ذئب كان غسانيا وكان كاهنا وكان على دين دهماء العرب كما روى هذه الحقيقة الاخباريون جميعهم ـ وقال

الطبري في تاريخه (١ : ١٧٠٠ من طبعة كلفرنج) وكان الحرث بن ابي شمر الغساني نذر [سيفين كانا له] لبيت الصنم يقال لاحدهما رسوب والاخر مخذم » افيعد هذا النص من يشك في وثنية بعض غسان او يجرؤ ان يقول ان غسان كلها كانت نصارى ؟

وكنا قد بعثنا بهذه الادلة ونظيرها الى الاب شيخو فلم ينشر منها شيئا لانها كانت قاطعة لكل زعم قذفت به الاغراض ـ امنها الله ! لكنها غيرت شيئا من فكرته فقال : « ولعل فصل الخطاب في هذا ما يقال من ان السموأل كان من احدى تلك الشيع الجامعة بين عادات اليهود وعقائد النصرانية التي عبرت الاردن وقت حصار الروم لاورشليم فسكنت في بلاد العرب(١) ؟؟

قلنا : اظهر مؤرخو الكنيسة واشاريوها ان هذه الفرقة اضمحلت منذ القرن الثالث للميلاد ولم يبق لها سوى الاسم . فراي الاب قائل هنا كما زاغ في سائر ما اخترعته مخيلته ولهذا لا نعتبر ذلك ظلا لدليل فضلا عن دليل . ومن الحسن ان نضرب بهذه الحجج كلها عرض الحائط لانها لا تقوم على قائمة .

٤ — نسب السموأل يثبت يهوديته

غاية هذه المقالة ان تثبت للقراء حقيقة ديانة السموأل وانها كانت اليهودية وليست النصرانية وهذا ما يؤخذ من اسماء اجداده . وقد اختلف النسابون في نسبه . فقيل السموأل بن غريض بن عادياء بن حياء الكاهن اليهودي . وقيل : السموأل بن حيان بن عادياء . وقيل : السموأل بن اوفى بن عادياء بن رفاعة بن جفنة (التاج في مادة سمل) ... وقيل : السموأل بن عادياء بن حيا بن رفاعة ابن الحرث ... الى غير هذه الروايات باختلاف قليل .

واول كل شيء نقوله هو : ان السموأل لم يرد اسما نصراني بل اسم ليهودي . اما النصارى فسموا اولادهم سمويل والمحدثون يقولون خطأ صموئيل .

وغريض بالغين المعجم وبالعين المهملة خطأ صريح من قبيل التصحيف هو نفس حنان . فحنان بالعبرية وغريض بالعربية وهو معنى حنان . وتلفظ بنونين الواحدة مشددة واقعة بين الحاء والالف والثانية في الاخر . وحنان اسم محبوب

١) ديوان السموأل لنفطويه طبع الاب شيخو ص ١٣

عند اليهود وكرهوه كل الكراهية عند المسيحيين لانه يذكرنا اسم الكاهن الاكبر الذي اخذ اليه المسيح عند محاكمته أول مرة وقبل ان يحاكم بين يدي الاخرين . ولهذا لم يتسم به احد من المسيحيين وبقي خاصا باليهود نكاية النصارى .

ومن هذا التحقيق ترى ان حيان بالياء الموحدة التحتية المشددة خطأ وكذلك حيان بالياء المثناة المشددة . ولم نقف على يهود تسموا بحيان ولا بحيان بل حنان بنونين .

وكذا قل عن حيا بالياء الموحدة المشددة او حيا بالياء المثناة المشددة فكلاهما تصحيف حنا بالنون المشددة وهو من اسماء اليهود اولا ومن اسماء النصارى ثانيا . وسبب هذه التصحيفات ان الالفاظ العبرية غير معروفة عند العرب سلفنا ولهذا أنسوا بما عرفوه فنقلوه الى ما كانوا قد اتخذوه من الاعلام المعروفة عندهم .

وعادياء اصله بالعبرية « عدايا » فوقع القلب فيه كما وقع في اغلب الاعلام الغريبة . وعدايا معروف عند اليهود فقد ورد مثله في سفر زكريا من التوراة (١ : ١ : ٧) .

جئنا الان الى اوفى . تقولهم ابن اوفى هو كقولهم ابن الوفاء إلا انهم استعملوه بصيغة افعل لما اشتهر به من الوفاء . اذن قولك ابن اوفى كقولك صاحب الوفاء .

ورفاعة ليست إلا ترجمة العبرية « ارم او أرام » وهو كثير الورود في التوراة بل معروف الى عهدنا هذا .

بقي علينا ان نعرف من جفنة . فجفنة كلمة عربية يقابلها في العبرية « كرمي » ومعنى جفنة ذو الجفنة اي الكرام . وكرمي من اسماء اليهود ايضا وقد ورد مثل هذا العلم اسما لواحد من ابناء روبن (سفر الخلق ٤ : ٦) والخروج (٦ : ١٤) واسم رجل آخر ذكر في سفر يشوع (٧ : ١) .

٥ — النتيجة والختام

النتيجة من هذا البسط الموجز ان السموأل لم يكن نصرانيا ابدا بل هو يهودي عريق في اليهودية ويشهد على صحة هذا الراي الرصين :

١ — شهادات الاخباريين والرواة والشعراء والمؤرخين .

٢ — ما نقله الينا الاقدمون من شعر السموأل به مانقله المزورون العصريون

الذين وضعوا اسماءنا على لسان صاحب الابلق ونسبوها اليه زورا وبهتانا .

٣ــ نسب الشاعر وصريح الاعلام الخاصة باليهود دون النصارى .

وهذه هي صورة اعلام نسبه بالالفاظ العبرية : سموئيل او شموئيل (او كما يقول اليهود العصريون : شميل وزان قبيط ولا يجوز ان يقال صموئيل بهذا المعنى) بن حنان (ويجوز تخفيف اللفظة فيقال حنا . لكن لا حيان ولا حيان ولا حياء ولا حياء كما جاءت مصحفة في بعض كتب الاخبار) بن عدايا (ويجوز عاديا أو عادياء على القلب المكاني) بن إرم (كعنب) او أرام (كسحاب) لكن لا آرام بمد الهمزة كما جاءت في بعض نسخ التوراة المترجمة الحديثة النقل اما في القديمة فقد جاءت ارم او أرام . ومنه ارم ذات العماد) بن كرمي . هذا الذي يتبين لنا من خلال الالفاظ العبرية او المنقولة الينا بالمعنى لا بالمبنى .

ومثل هذا النقل ، نقل الاعلام بالمعنى كثير في لغتنا . مثال ذلك : قاسم فانه اشهر من ان يذكر وقديم الورود في تاريخ العرب واخبارهم وانسابهم فهو تعريب قالج او قالغ (على لغة) باللغة العبرية . ويزيد وهو تعريب يوسفيمنذ اقدم العهد ــ وفي الاغاني ١ : ١٣ من الطبعة الجديدة : ان الناحر تعريب ناحور والشارع تعريب شاروع والرامح تعريب ارغو والراقد تعريب ارفخشذ وملكان تعريب لامك والمنوش تعريب المتوشلخ (كذا . اي متوشلح) والرائد تعريب يارد . الى آخر ما هناك من الاعلام وهي كثيرة لاتحصى .

ومن الغريب ان المستشرقين الذين كتبوا في موضوع السموأل بعد الاب شيخو زادوا تأكيدا لمسألة يهوديته مثل الاديب والمستشرق الفرنسي كليمان هوار في كتابه تاريخ الاداب العربية ص ١٠ ومعلمة الاسلام في مادة السموأل (١٣٨) الى آخرين عديدين . وهذا كله لادحاض مختلقات الاب شيخو رحمه الله وغفر له مساوئه !

(تنبيه) ان التاريخ القائم على حقائق راهنة قديمة لا تفسده التزويرات والتلفيقات . وان جازت برهة على قوم ، لا تبطيء ان يظهر ما فيها من الوضع والكذب . فيعود الحق الى نصابه على احسن وجه .